النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تتمّة)

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم. وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (١ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وكان على شيبان هانئ بن قبيصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦). وقد روى ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « انّ العذارى النصرانيّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » وهو اصل صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج ١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك انّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة ». ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرّح بنصرانية سيّد بني عجل أبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص ٣٤٦٠). وبقي ابنهُ حجّار على دينهِ يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣ : ٤٦ — ٤٧) :

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ

---

١) اطلب الاغاني ج ٢٠ ص ١٣٣ — ١٤٠

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدْتم وذلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف بعجل ان دنا الفصحُ واشتدت عليك بنو عجل ومرحلكم بغلي
وعندك قسّ النصارى وصُلْبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

وهو القائل لما تهدّدتهُ بنو العجل بالقتل لهجوه سيدهم:

عُدّدني عجلٌ وما علمتُ انني خلافٌ لعجل والصليبُ لها بطلُ . . .

يريد اكرام بني عجل للصليب على مألوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقَيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان. كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيّة. وقد خصُّوا بالذكر عُقيلاً وذكروا لهم اساقفة. وأما ظهر الاسلام دانوا به مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدُّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم

٣٣ ﴿ غسّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيّة غسّان وقد مرّ لنا كلام مُسهب في ذلك. وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة الّا ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed: Wellhausen, Skizzen, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

بحلّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

٣٤ ﴿ فَرسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليل (٢: ٥ من جزائر اليمن جزائر فَرسان وفَرسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس . . . ويحملون التجار الى بلاد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمّ اليهم كثير

---

١) وممّن اتّسعوا في تاريخ غسّان العلّامة نُلدكه في كتابه (Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Gafnas) وكذلك الرحّالة دوسُو وصفهم بالتحمّس الديني في النصرانية (Les Ghassanides. . .) (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.*) قال عنهم: . . fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٣–٨٧٤)

من الناس ونُسّاب حمير يقولون انهم من حمير ». وفي تاج العروس (٤ : ٣٠٦) « انّ غَرَسان لقب عمران ابن عمرو . . . بن تغلب قيل لقّب به لجبل بالشام اجتاز فيه وسكن ولده به ثمّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمّا اجدبت نزلوا الى وادي مَوْزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك . ومن الغَرَسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية في قُرَيش مع الشواهد على ذلك . فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من أمهات القبائل والى نصرانيّة بطونها كجرم بن ريّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات . وممن صرّحوا بدينها النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخه قال (١ : ٢٣١) : « كانت قضاعة اوّل من قدم الشام من العرب . . . فدخلوا في دين النصرانية فأكّبهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب ». وقد مرّ قول الفارابي (اطلب المزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاعة . ومثلها الفيروزابادي حيث قال : « كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيّ » وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) انّ دير خندف في نواحي خوزستان قد بنتهُ ليلى القضاعيّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخه (١ : ٢٣٤٧) عن هرقل انّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيّة المستعربة « لخم وجذام وبَلقين وبَلِيّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة » وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

---

١) وقد اقرّ بنصرانية قضاعة العلّامة فلهوزن فقال : « كل قبيلة قضاعة كانت متنصّرة في القرن السابق للاسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231) (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, اطلب ٢ III. 292,295) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١ : ١٨٧٢)

٣٨ ﴿ كلب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدَّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهدًا فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (١ وقد عرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بَجدل بن أُنيف النصراني خو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): « هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا) ». ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الاسلام الّا بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٢: اسلمت كلب غير مدرء كانوا نصارى ». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢). انَّ محمدًا دعا الى الاسلام قومًا من كلب يُعرفون ببني عبدالله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٦٩):

« البقاع. . يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (٣ »

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه ». ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اوّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضًا حُجيَّة بن المضرّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١: ١٦)

٣٧ ﴿ لخم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣: ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام ».

---

١) اطلب الباب التاسع من القسم الاوّل ثم راجع ايضًا تاريخ ابن خلدون (٢: ٢٤١)

٢) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

٣) لعلَّهُ يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس التي لا يُعرف مكانهُ

وكذلك اليعقوبي (١ : ٢٩٨) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن . ومثلها السيوطي في المزهر (١ : ١٥) . وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١) . ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم . ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ (راجع طبعتنا ص ٢٠٤) . وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الدُّميك اللخمي (ياقوت ١ : ٧٩٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة . وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ (ص ٢٨١) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان . ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) مع القبائل المتنصرة فقال : « تنصَّر من اليمن طيّ ومذحج الخ » . ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيَّة . ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق . وكثيراً ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين (ﻣﻌﺪﻳﻨﺎ ﺍﻭﺻﻢ ﻣﺤﻜﻴﻨﺎ) ومثلهم بنو عقيل (ﻣﻌﺪﻳﻨﺎ ﻭﻗﻊ ﺣﻠﺐ ﺣﻮﺻﻢ) (٢

٤١ ﴿ مَهرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور

---

١) اطلب (Land, *Anecdota Syriaca*, I, 47) ٢) Smith: *Thesaurus Sy.*

الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ تاجية ﴾ هم بنو تاجية بن عِقّال قوم الفرزدق ينتمي نسبهم الى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليُّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال فاتيناهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال اميرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ ديناً افضل من ديننا فنثبتنا عليه . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الأخرى : ما انتم . قالوا كنّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم : اعتزلوا . ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة ما انتم . قالوا : نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نَرَ ديناً هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم : أسلموا . فابوا فقال لاصحابه اذا سمعتُ راعي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم باثني الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ : الا تأخذ الذريّة . فقال : لا . فلم يعرض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر . . وتديُّنهم بالنصرانيّة قديم تشهد عليه عدّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب رويناها في الفصل الاوّل الباب الثالث . وقد صرّح بذلك قزما الرحّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون . وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بمُجَسَّدة عنس كأن قَراها فدَنٌ تُطيف به النبط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخَع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم . كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران . ومنهم كان بنو عبد المدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن . وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم . قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, Skizzen, IV, ٦٩) : « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عبدًا . وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب

وبني بكر . وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة انَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغسان وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة . وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

١٦ ﴿ يشكُر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر . وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار . وكانوا محالفين للحسين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكننا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير مما لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا . ولا بُدَّ عنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهم وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً ليكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم . وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تعييرها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي . تمَّ الجزء الاول . (ويليه الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠ مار يعقوب — القوش — رَبَّان هرمز

تمرُّ طريق زاخو الى مار يعقوب بين جبال تُدعى بها « زاخو داغ » تفصل قضاء زاخو عن سهول الموصل . فلمَّا قطعناها احببتُ ان اتقدَّم امام القافل ماشياً لاصلي صلاتي في عزلة كمألوف عادتي . فوجدت في تلك الاودية من مشاهد الطبيعة ما كان يرفع قلبي الى الله . ولم يخطر على بالي ان اللصوص وبنا كمنوا في تلك القفار يسلبوا ابناء السبيل